الاتّساقُ النَّصيّ الدَّلاليّ في الخُطبةِ العَلَويَّةِ الغَرَّاء

م. د حسين علي هادي المُحَنّا
جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية

Semantic Textual Consistency in al-Ealwia Honourable Sermon

Lect. Dr. Hussein Ali Hadi al-Muhanna
University of Babylon / College of Islamic Sciences
موبايل : ٠٧٨٠١٠٦٣١٨٠

Abstract

This research highlights the semantic textual consistency in the honourable sermon, a text of the Imam Ali record (peace be upon him), Nahj al-Balaghah. The research revealed semantic relations in the sermon, such as convergence, synthesis and detail, and the logical relationship built on cause and effect, and demonstrated the repetition of all kinds of connotations of semi-tandem repetition, reformulation, inclusion and general words.

It concluded that al-Ealwia text includes all the semantic relations that enable Imam Ali, with his linguistic and lexical richness, to employ it in achieving semantic textual consistency. The multiplicity of means on which the semantic relations were based contributed to the consistency of the text on the one hand, and on the other hand, they were able to persuade and influence the recipient. Imam Ali (peace be upon him) was able to employ the semantic relations in the text in a way that increased its fertility and deepened the interaction between his units .

Keywords: Consistency, Semantic, Ealwia Sermon

ملخص البحث :

هذا بحثٌ يسلّط الضوء على الاتّساق النَّصيّ الدلاليّ في الخطبة الغراء، وهي نصٌّ من نصوص مدونة الإمام عليّ (عليه السلام) نهج البلاغة.

كَشّفَ البحثُ النقاب عن العلاقات الدلالية في الخطبة، كالعلاقة التقابلية، وعلاقة الإجمال والتفصيل، والعلاقة المنطقية التي بُنيَت على السبب والنتيجة، وبيَّنَ التَّكرارَ الدلاليَّ بجميع أنواعه من تَكرارٍ بشبه الترادف، وإعادة الصياغة، والتضمين، والاشتمال، والكلمات العامة.

وخَلُصَ إلى أنَّ النَّصَّ العلويّ يشتملُ على جميع العلاقات الدلالية التي تمكَّنَ صاحبُ المُنجَز بما يمتلكه من ثراء لغويّ ومعجميّ من توظيفه في تحقيق الاتساق النَّصيّ الدلاليّ.

إنَّ تعددَ الوسائل التي قامت عليها العلاقاتُ الدلالية أسهمت جميعُها في اتّساق النَّصِّ من جانب، ومن جانبٍ آخر تمكَّنت من إقناع المتلقي والتأثير فيه.

استطاع الإمامُ (عليه السلام) أن يوظِّفَ العلاقات الدلالية في النَّص بصورةٍ زادت من خصوبته، وعمَّقت التعالق بين وحداته.

الكلمات المفتاحية : الاتساق، الدلالي، الخطبة العلوية.

مقدمة :

الحمدُ لله المُبتَدىءِ بِحَمدِ نَفسهِ قبل أن يحمدَهُ حامِدٌ، والمرسِلِ رسولَهُ بالبيانِ محمدًا صلى الله عليه وآله وسلَّم ما اختلفَ المَلَوانِ وتعاقَبَ الجديدانِ أرسَلَهُ بكتابِهِ المُبين، الفارِقِ بين الشَّكِّ واليقين.

أما بعد :

فالاتساق النَّصيّ موضوعٌ أساس في اللّسانيات الحديثة التي أخذت على عاتقها الانطلاق من فرضية التوسع فتوجَّب عليها الانتقال من دراسة الجملة كوحدة لغوية كبرى إلى دراسة النَّص بوصفه ممثلًا شرعيًا للغة يمتاز بكلِّ خصائص الاتساق والانسجام ومميّزاتهما.

والاتساق أحد المعايير النَّصيّة وأهمَّها، إذ يُعَدُّ مظهرًا لدراسة النسيج النَّصي، وهو مفهوم دلالي يُحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النَّص، والتي تحدده كنصٍّ وهو بنية شكلية تتميَّز بترتيب البنية الدلالية، ولايعتمد على ترابط الجمل في المستوى الشكلي، بل لابُدَّ له من عاملٍ آخر يحدث ربط المعاني التي يحويها النَّص.

وذهب رعيلٌ من الباحثين إلى ربط الاتساق بالروابط الدلالية المختلفة أي بالجانب الدلالي، وجعلوا الاتساق تماسكًا شكليًا يتصل بالروابط الموجودة على البنية السطحية للنَّص من إحالةٍ، وحذفٍ، ووصلٍ، وتكرار. (١)

ارتضينا أن تكون الخُطبة الغرّاء للإمام عليّ (عليه السلام) في المدونة المباركة (نهج البلاغة) محطَّ دراستنا من أجل استجلاء أثر الاتساق الدلالي، وتبدّى لنا في ضوء معاينة الخطبة الغرائية أنَّ العلاقات الدلالية نالت حيّزًا وسيعًا في لغة الإمام (عليه السلام)، والتي كشف في ضوئها رغبته في التأكيد على المعنى الذي أراد إيصاله للآخر، وقد ظهرت هذه العلاقات في مدونته ضمن أشكالٍ متعددة أكَّدَ في ضوئها المعاني التي يحملها في وجدانه، ولأهميتها في الاتساق الدلاليّ جاء البحثُ ليكشف النقابَ عن أثرها في الخطبة الغرّاء، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة ومطلبين، كشفنا في المطلب الأول عن العلاقات الدلالية، أما المطلب الثاني فعرضنا فيه التكرار الدلالي، وخاتمة تضمّنت أهم قطاف البحث.

المطلب الأول : العلاقات الدلالية :

من العلاقات الدَّلاليّة التي نَخالُ أنَّها حاضرةٌ حُضورًا مُعجِبًا في الخطاب العلويّ ولاسيّما في الخُطبة الغرّاء ما يأتي :

١ _ العلاقة التقابلية :

العلاقة التقابلية هي الربط بين طرفين، أو موقفين، أو حدثين متقابلين، ويتحقق الربط في النَّصّ بواسطة التقابل في ضوء سلاسل مترابطة من الوحدات التي تخلق الاتساق في النَّص.

وجاءت الألفاظ المتقابلة في مدونة الإمام عليّ (عليه السلام) لتُسهِمَ في بناء النَّصّ واتّساقه، ويظهر النَّصُّ كعلاقةٍ لغويةٍ كبرى تُختَزَنُ فيها مجموعةٌ من الألفاظ المتضادة، وكلُّ مفردةٍ من هذه المفردات تحمل دلالةً موازيةً للأُخرى في علاقةٍ متّسقةٍ حتى تصلَ معكوسةً إلى المتلقي الذي بدوره يفككها إلى حلقات ذات معاني جزئية حيثُ يُفهَمُ اللفظُ بضدّه، والتضاد هو وسيلةٌ حجاجيَّةٌ إقناعيةٌ، وهو حِليَةٌ تنتجُ صورًا جماليةً لفظيةً تُسهِمُ في تماسك النَّص واتِّساقه (٣)، وهو سلوكٌ غيرُ متوقَّع للوحدات اللغوية داخل السياق، وجاء التَّضادُ في قوله عليه السلام : ((وكذلك الخَلَفُ يعقِبُ السَّلَفَ)) (٤) وقوله : ((نِكالَ العِقابِ ونوالَ الثَّوابِ)) (٥) وقوله : ((غضارَةَ الصِّحَة إلّا نوازِلَ السَّقَم)) (٦) وقوله : ((وأهلُ مُدَّةِ البَقاءِ إلّا آونَةَ الفَناءِ)) (٧).

إنَّ الحَشدَ لهذه المتضادات (الخَلَف والسلف) و (نكال ونوال) و (العقاب والثواب) و (الصحة والسقم) و (البقاء والفناء) أسهَمَ في السَّبكِ لفظًا ومعنًى، فهو وسيلةٌ إقناعيةٌ من جانب، وطرَّزَ سطحَ النَّص من جانبٍ آخر، وتبرزُ قدرَةُ التَّضاد في تحريك قوَّةِ العقل، وتنشيط قوة الشعور، لذا اجتمع لها كمال اللفظ والمعنى.

وعلى الرغم من الصراع القائم بين المتناقضات داخل النَّص إلّا أنَّها أفضت إلى يقين لدى المتلقي حيث ولَّدَت طاقةً قادرةً على إقناع الآخر بقضيةِ النَّص بقالبٍ متناغمٍ، فهو قائمٌ على التنافر في الدلالة والتآلف في الإيقاع.

إنَّ الذي يميّز التَّضاد في مدونة الإمام (عليه السلام) أنَّهُ قائمٌ على مقاطع عدَّة كلّ مقطعٍ يتناول موضوعًا فرعيًّا يتصلُ بقضية النَّص الكبرى، وسمة هذا المقطع أنَّهُ قابلٌ للتشعيب في فرعين أحدهما موجب والآخر سالب، ومن ذلك قوله عليه السلام : ((قد عَبَرَ معبرَ العاجلَةِ حَميدًا وقَدَّمَ زادَ الآجِلَةِ سَعيدًا (...) وراقَبَ يومَهُ وغَدَه (...) فكفى بالجَنَّةِ ثوابًا ونوالًا وكفى بالآخِرَةِ عقابًا ووبالًا وكفى باللهِ مُنتَقِمًا ونَصيرًا)) (٨).

إنَّ التضاد من شأنهِ أن يكشفَ عن أسلوبٍ فنيّ يؤثر في المتلقي في ضوء تجلي المعنى واتّساعه ؛ لأنَّه يجمع بين متنافرين متضادين، إذ بالتضاد تتضح الأشياء، وتصل الأفكار بطريقةٍ تشدُّ المتلقي، وتعمل على إقناعه فضلًا عن ذلك، فإنَّ التضاد يؤدي إلى التضام الدلاليّ في النَّص، فالضدُّ يُعرفُ بالضدِّ.

ونترسّمُ تقنيةَ التضادِّ في كلامه (عليه السلام) عن اليوم الآخر، إذ تنبجسُ الألفاظُ المتضادّة وتتعانق لتُنتجَ لوحةً مبهرةً تتسمُ باتساقيةٍ نصّيّة مُعجبة، قال (عليه السلام) : ((هَلْ مِنْ مَنَاص أَوْ خَلاَص، أَوْ مَعَاذ أَوْ مَلاَذ، أَوْ فِرَار أَوْ مَحَار! أَمْ لاَ؟ (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)! أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ! أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّراً عَلى خَدِّهِ)) (٩) إنَّ سَكَّ المتضادات(فرار ومحار) و (الطول والعرض) عزَّز من الاتساق الدلاليّ، وأضفى عليه مَسحةً جماليةً فضلًا عن التعالق بين هذه المتواليات التي اصطفَّت جميعُها لتحقق هدفَ صاحبِ المُنجَز في التواصلِ وإبلاغِ مراده إلى المتلقي.

٢ _ علاقة الإجمال والتفصيل :

تقوم هذه العلاقة على ذكرِ قضيةٍ مجملةٍ في بداية النَّص، ثُمَّ تُطرَح قضايا أُخَر مفصّلة لها تُعينُ المتلقي على الفَهمِ والاستيعاب بما تحمله من دلالاتٍ ومعانٍ مكثَّفةٍ فضلًا عن ذلك أثرها في التثمير الدلاليّ.

لقد أسهمت علاقة الإجمال والتفصيل في إضفاءِ مسحةٍ جماليةٍ على الخطب العلوية إذ هي من المقومات الأساسية التي ترتكز عليها البنية الدلالية، وفي الخطبة الغرّاء يتحدّث الإمام (عليه السلام) على المولى جلَّ وعلا، وعلى عظمته التي تجسّدَت في قدرته التي أشار فيها إلى العطاء الإلهي غير المحدود، قال : ((الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلاَ بِحَوْلِهِ، ودَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَة وَفَضْل، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَة وَأَزْل، أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ . نِعَمِهِ، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً، وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً)) (١٠) لقد ذكرَ اللهَ تعالى، ثُمَّ عرَّجَ على صفاته بشيءٍ من التفصيل، ويمكننا التمثيل لهذه العلاقة التفصيلية على النحو الآتي :

لقد بدأ الإمامُ (عليه السلام) كلامَه بالاستهلال التعبدي في ضوء قوله : (الحمد لله) ثُمَّ استدعى صفات هذا الحمد فكان التركيب اللفظيّ (الحمد لله) بمثابة جذعٍ تفرَّعت منه العروقُ، وتهدَّلَت عنه الغصونُ، فهو تشجيرٌ نصّيّ، وفي الوقت ذاته تشجيرٌ دلاليّ من أجل الوصولِ إلى التأثير في المتلقي، وشدِّه وإذكاء رغبةٍ عارمةٍ عنده لاستحصال المزيد من الصفات الإلهية، فقوله (الحمد لله) هو الجذر الكلاميّ الذي انبثقت منه كلُّ التفرعات الكلامية. ونلحظ حديث الإمام (عليه السلام) على الدنيا، فهي المحور الرئيس للحديث ثُمَّ يأتي التفصيل، ويتجسّد هذا التشجير الكلاميّ والتثمير الاتساقي النَّصيّ في بيان حالها، إذ تتناسل العروقُ والغصونُ والتفرعات على سطح (الكلمة الغطاء) أو (الكلمة المحورية) الدنيا، قال (عليه السلام) : ((فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ، حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا، وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، ومُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ))(١١)

ونكشف عن العلاقة بين الإجمال والتفصيل بالمخطط الآتي :

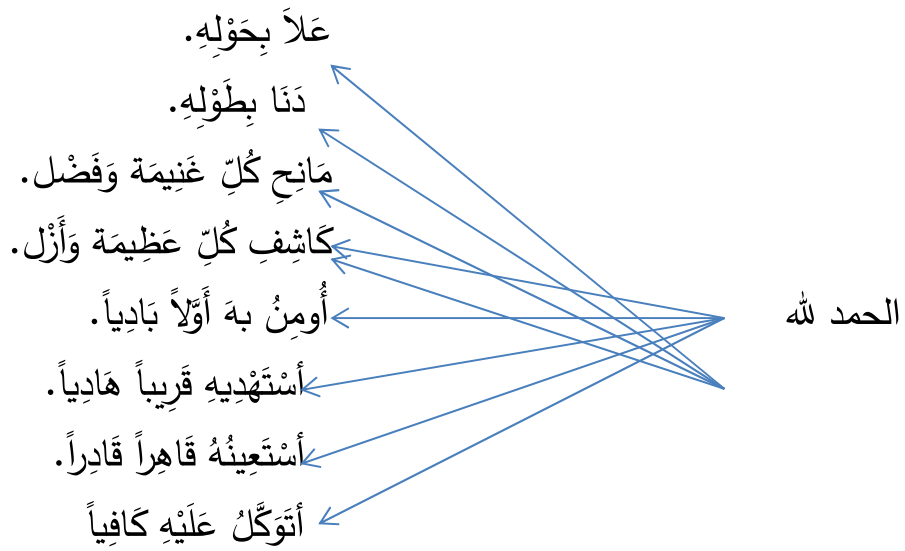

أسهمت علاقة الإجمال والتفصيل في إضفاءِ مسحةٍ جماليةٍ على النَّص، إذ هي من المقومات الأساسية التي ترتكز عليها البنية الدلالية، وأعظِم بقدرة الإمام (عليه السلام) على هذا التوالد الجمليّ الذي أضاء المُنجَزَ وعبَّرَ عن الثراء النَّصيّ الذي يملكه، فالجمل الواردة بعد الجذر اللفظي هي تفصيلاتٌ وتعبيراتٌ له، وقد اكتست شرعية وجودها في ظلِّ شجرة النَّص.

إنَّ قولَه (الدنيا) بمثابة جذعٍ تفرَّعت منه العروقُ، وتهدَّلَت عنه الغصونُ، من أجل الوصولِ إلى التأثير في المتلقي، وشدِّه وإذكاء رغبةٍ عارمةٍ عنده لاستحصال المزيد، فقوله (الدنيا) هو الجذر الكلاميّ الذي انبثقت منه كلُّ التفرعات الكلامية.

وتحدَّثَ الإمامُ (عليه السلام) على خلق الإنسان الذي يمثِّلُ عنوانًا رئيسًا لقائمةٍ كبرى تنتظمُ فيها مجموعةٌ من عناصر وبيانات ذات دلالات متسلسلة متتابعة تتضافرُ في خلقِ اتّساقٍ نصّيٍّ دلاليٍّ يقودُ إلى أقصى غايات الإبلاغ والتواصل، وخيرُ شاهدٍ على ذلك التشابك الدلاليّ في قوله : ((أَمْ هذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وَشُغُفِ الأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِفاقاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِساناً لاَفِظاً، وَبَصَراً لاَحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً; حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وَخَبَطَ سَادِراً، مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ، فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ; لاَ يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، وَلاَ يَخْشَعُ تَقِيَّةً; فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ أسيراً، لَمْ يُفِدْ عِوَضاً، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً.

دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ، فَظَلَّ سَادِراً، وَبَاتَ سَاهِراً... ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصِبٍ).(١٢)

والمخطط الآتي يوضِّحُ هذه العلاقة :

إنَّ التفصيل هو أشبه بعناقيد تشابكت، وغصون تهدَّلت، وتعددت دلالاتها حتى يُظهِرَ في ظلِّها صاحبُ النَّصّ القضية الكبرى في النَّص، وتَبَدَّى لنا أنَّ هذا التفصيل يُسهِمُ في تحشيد الدلالات التي توسِّع المعنى، وتزيد من عمقه، فتصطف الدلالاتُ جميعها وتتعاضد ؛ لتوصِلَ المعنى إلى المتلقي، وتحقق إقناعه بالفكرة التي يرمي إليها صاحبُ المُنجَز.

٣ _ العلاقة المنطقية :

لاجَرَمَ أنَّ العلاقات المنطقية قائمةٌ على العلاقات السببية المستندة إلى الظفَرِ بالعِلل والمسببات من أجل إحراز النتائج، واقتناص المُراد من الثوابت والفرضيات.

وتترسَّمُ هذه العلاقات في ضوء أشكالٍ بَصُرنا بها، ومنها علاقة السبب بالنتيجة :

لاريب أنَّ هذه العلاقةَ تقومُ على أساس الربط بين قضيتين تكون إحداهما بسببٍ من الأخرى، وتُسهِمُ هذه العلاقة في التحام أجزاء الجملة الواحدة، أو مجموعة من الجمل داخل النَّص، فتعمّق تقنية الاتساق النَّصيّ من جهة، ومن جهةٍ أخرى تقوّي الوظيفة الإبلاغية، والمتأمّل في نظم هذه الخُطبة يجد هذا الترابط المنطقيّ البُرهانيّ إذ نستشعرُ تناسُلَ الأسباب في النتيجة الواحدة وهي سِمَةٌ مُبصرةٌ في الخطاب العلويّ، قال الإمام (عليه السلام) : ((أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمُ الأمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَغَ لَكُمُ المَعَاشَ، وَأَحَاطَ بِكُمُ الإحْصَاءَ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالزَّفَدِ الرَّوافِغِ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ، فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً، ووَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً، فِي قَرَارِ خِبْرَة، وَدَارِ عِبْرَة، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسِبُونَ عَلَيْهَا)). (١٣)

ويمكن تصور الربط المركوز بين السبب والنتيجة في ضوء العلاقتين الآتيتين :

السبب ← النتيجة

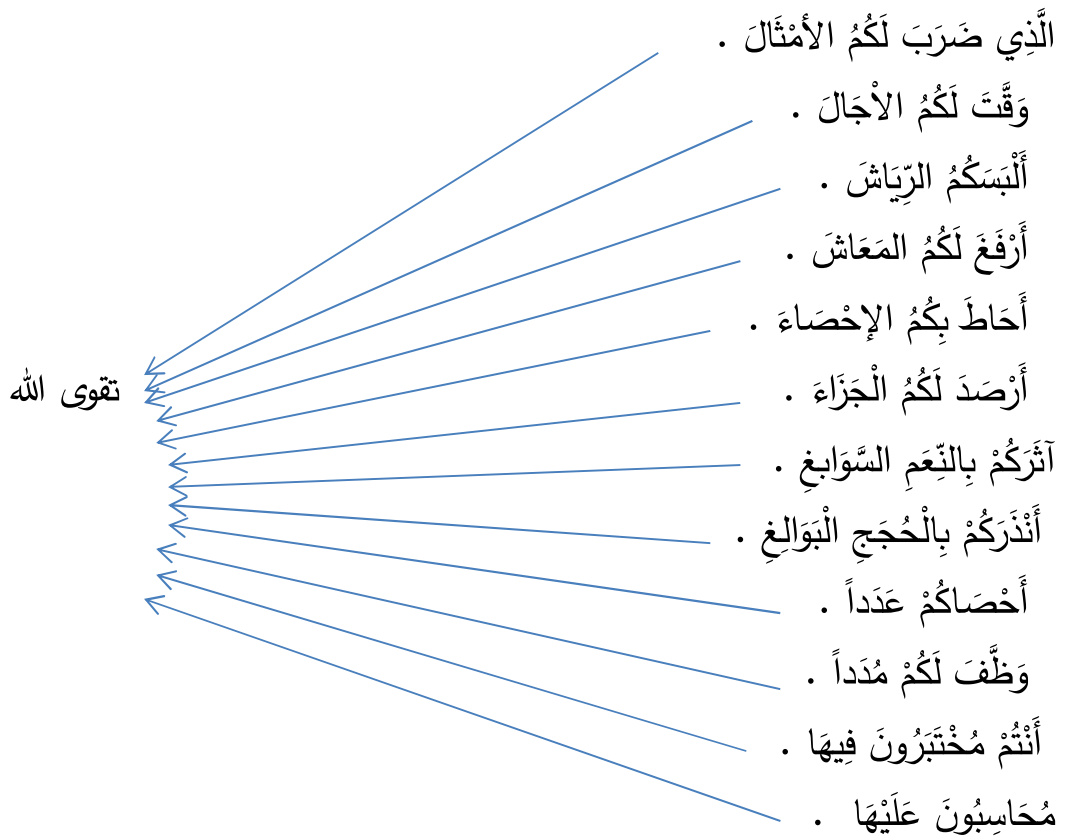

ونبصرُ هذه التقنية الحجاجية المُعجِبَة في بيان خلق الإنسان، قال (عليه السلام) : ((جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا، وَأَشْلاَءً جَامِعَةً لأَعْضَائِهَا، مُلاَئِمَةً لأَحْنَائِهَا في تَرْكِيبِ صُوَرِهَا، وَمُدَدِ عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لأَرْزَاقِهَا... وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ... فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلاَّ حَوَانِيَ الْهَرَمِ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إِلاَّ نَوَازِلَ السَّقَمِ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلاَّ آوِنَةَ الْفَنَاءِ؟)). (١٣)

بنى الإمام (عليه السلام) مفاصل خطبته على هذه العلاقة الدلالية التي تقوم على الربط بين مفهومين، أو بنيتين، أو حدثين، وتتضح هذه العلاقة بالمخطط الآتي :

السبب ← النتيجة

جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً. ← لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا.

وَأَبْصَارا. ← لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا.

وتجتمع عدَّة أسبابٌ لتؤدي نتيجةً واحدة، هذه العلاقة لها سُهمَةٌ باصِرَةٌ في ربط أجزاء النَّص وتلاحمه واتّساقه، والمخطط الآتي يكشفُ عن هذه العلاقة :

السبب ← النتيجة

وَأَشْلاَءً جَامِعَةً لأَعْضَائِهَا.

مُلاَئِمَةً لأَحْنَائِهَا في تَرْكِيبِ صُوَرِهَا، وَمُدَدِ عُمُرِهَا.

بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا. ← الفناء

وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لأَرْزَاقِهَا.

وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ.

أنشأ الإمامُ (عليه السلام) هذا النَّص ليكون مرتبطًا بفكرةٍ رئيسةٍ سعى بقدرته اللغوية والثراء المعجمي الذي يمتلكه إلى إيصالها للمتلقي، وعمد إلى هذا التسلسل للتراكيب اللغوية واضعًا نصبَ أعينهِ التسلسل الدلاليّ والمعنويّ لها.

المطلب الثاني : التَّكرار الدلالي :

١ _ التَّكرار بشبه الترادف :

إنَّ التكرار بالترادف يشدّ الانتباه إلى أهمية هذا الشيء المكرر في عالم النَّص إذ يُعدُّ نوعًا من أنواع الالتفات.

ويقرُّ علماء الدلالة بأنَّ الترادف التام لا يقع إلّا في حالاتٍ نادرة ؛ لأنَّ الكلمة في سياقها لا تتضمَّن إلّا معنًى واحدًا، وبما أنَّ التطابق بين الوحدات في التكرار الدلالي ليس تطابقًا تامًا فإنَّه يُحدِثُ فرقًا طفيفًا يُكسب المعنى تلونًا داخل النَّص، وتنوعًا في ظاهره، وهذا يدعم اتساق النَّص وترابطه.

ويظهر هذا جليًّا في قول الإمام (عليه السلام) : ((وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً، إِلَى غَايَةِ الانْتِهَاءِ، وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ. حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ النُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ)).(١٤)

ومن الواضح أنَّ فروقًا دلاليةً بين الألفاظ التي استعملها الإمام (عليه السلام) إلّا أنَّ هذه الفروق أضافت معاني جديدة عمَّقت من اتساق النَّص، وزادت من التعالق بين وحداته.

إنَّ براعة الإمام في استعمال هذه الوسيلة الإثرائية أتاحت تنوعًا صوتيًّا ودلاليًّا في النَّص المُنجَز،، ودونك هذه الأشباه في : (غاية وصيُّور) و (الانتهاء والفناء) و (تَصَرّمَت وتَقَضّت) و (ضرائح وأوكار وأوجرة) ولا يخفى الأثر الإيقاعيّ المترشّح من تلكم الألفاظ (شبه المترادفات) ونلحظ هذا في قوله عليه السلام : ((إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ،

وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ; حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ الامْتِحَانِ)). (١٥)

حرص الإمام (عليه السلام) على هذا السَّك للمترادفات (دار غربته ومنقطع زورَته) و (انصرف المشيّع ورجع المتفجع) و (بهتة وعثرة) و(السؤال والامتحان) مما يؤكد رغبته في إقناع المتلقي بما لا يدعو للشك في قضيته التي يهدف إلى إيصالها للآخر فكلّ هذه المترادفات متعالقة مع (فناء الدنيا وزوالها) مما يؤكد قضية النَّص الكبرى وهي التمسك بتقوى الله والاستعانة به، والتي تظهر على السطح بين الفينة والأخرى، ولعلَّ هذه الاستمرارية في تدفقها عبر النَّص كانت سببًا في ترابطه وتماسكه.

إنَّ التطابق بين الوحدات الدلالية المتشاكلة في المعنى ليس تطابقًا تامًّا، بل هناك فرقٌ دلاليّ بينهما أكسَبَ المعنى تمكُّنًا، وأفضى إلى تلاحم نسيج النَّص، ويتجسَّدُ هذا في قوله عليه السلام : ((وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ... وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وَتَطَأُونَ جَادَّتَهُمْ... وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ... تَنَكَّبَ الْمخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ المَسَالِكَ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ)). (١٦)

وبدا لنا أنَّ الإمام (عليه السلام) في استعماله لهذه الوسيلة الإثرائية عمَّقَ الدلالة التي جاءت على شكلٍ من الثنائيات اللفظية والتي أتاحت تنوعًا صوتيًّا ودلاليًّا في النَّص المُنجَز، ويظهر هذا في قوله : (عفت العواصف ومحا الحدثان) وقوله : (تركبون وتطأون) وقوله : (مزالق دحضه وأهاويل زلَله) وقوله : (المسالك والنهج)

إنَّ التدفق الدلاليّ لعلاقة الترادف في هذا المُنجَز ظهر بصورٍ متنوعة، وهذا التنوع والثراء الدلاليّ صنعَ شبكةً دلاليةً أسهَمَت في اتساقه، وإيصال فكرة صاحب النَّص إلى المتلقي والتأثير فيه.

٢ _ التضمين :

شكلٌ من أشكالِ العلاقات الدلالية يصنعُ شبكةً من عناقيد المعنى، وهو وسيلةٌ من الوسائل التي تُسهِمُ في اتساق النَّص، وغالبًا ما يُهيمن التضمين الدلاليّ على الحقل فيكون بمثابة الكلمة الغطاء التي يندرِجُ تحتها عدَّةُ تفريعات، ونصَّ على هذا النوع من التكرار الدلاليّ هاليدي ورقية حسن.

وقد بُنيَ النَّص في الخطبة الغرّاء على شبكة قوية من المتضمنات بثَّت خيوطها داخل النَّص، وسُبِكَت داخله على نحوٍ يتجلّى في حديث الإمام على الدنيا فهي الكلمة الغطاء، وهي كلمة تحتوي على مفاهيم دلالية مشتركة يتفرَّعُ منها (أرجلها، أحبلها، أسهمها) فتكرار هذه الأجزاء داخل النَّص هو شبه تكرار دلالي لكلمة (الدنيا) وامتداد لحضورها داخل النَّص، فالإمام لم يذكر الشيءَ بذاته بل بجزئه، قال عليه السلام : ((حتى إذا أنِسَ نافِرُها واطمأنَّ ناكِرُها قَمَصَت بأرجلِها وقَنَصَت بأحبُلِها وأقصَدَت بأسهُمِها وأعلَقَت المرءَ أوهاقَ المنية قائدةً له إلى ضنكِ المَضجَع ووَحشَةِ المرجع ومُعايَنَةِ المحلِّ وثَوابِ العَمَلِ)) (١٧). وبهذا تقوم المفردات بنسج شبكةٍ مترابطةٍ من الكلمات المتقاربة دلاليًّا، وهي بامتداد محتواها وتشعُبه أسهمت في استمرارية المعنى المقصود مما حقق له التماسك.

ويُقِرُ علماء النَّص أنَّ من أسباب قوة الربط العلاقة الضمنية التي في ضوئها تتحقق العلاقة بين المفردات كعلاقة الكل والجزء، ونلحظُ أنَّ العلاقات الدلالية شكّلت شبكةً مترابطة من الألفاظ حققت للنَّص استمراريته بترابطه وقوة نسجه ويمكننا أن نلحظَ هذا في حقل الموت، وفيه يقول الإمام (عليه السلام) : ((دَهَمتهُ فَجعاتُ المنيَّة في غُبَّرِ جِماحه وسَنَنِ مِراحِه فظَلَّ سَادِرًا وباتَ ساهِرًا في غَمَراتِ الآلام وطوارقِ الأوجاعِ والأسقامِ بينَ أخٍ شقيق ووالِدٍ شفيق وداعيةٍ بالويلِ جَزَعًا ولادمَةٍ للصَدرِ قَلَقًا والمرءُ في سَكرَةٍ مُلهِيَةٍ وغَمرَةٍ كارِثَةٍ وأنَّةٍ موجِعَةٍ))(١٨).

إنَّ هذا السَّكَ للمفردات والانسجام بين المتتاليات في ضوء التضمين أثرى النّصَّ وأحدث تعالقًا بين وحداته، ونرصد هذا الشكل الدلاليّ حين فرّعّ الإمام (عليه السلام) هذه الألفاظ من الكلمة الغطاء (ظلّ سادرًا وبات ساهرًا) و (غمرات الآلام وطوارق الأوجاع والأسقام) و(أخٍ شقيق ووالدٍ شفيق) و (داعية بالويل ولادمة للصدر) و(سكرة مُلهية وغمرة كارثة وأنّة موجعة).

إنَّ الشبكة الدلالية داخل حقول التضمين تسهم في اتساق النَّص، وخلق خطابٍ متناسقٍ عبَّرَ به الإمام (عليه السلام) عن همّه وماتجيشُ به نفسه ورؤيته للموت ودعوته للآخر في أن يحذر ويستعدّ لما سيأتي بعده.

٣ _ الاشتمال :

علاقة الاشتمال هي شبكة من العلاقات الدلالية داخل الحقل الواحد، وتتفق مع التضمين في وجود علاقة العموم والخصوص إلّا أنَّها تتماز عنه في أنَّ التضمين كتلةٌ تحتوي على عناصر عدَّة أمَّا الاشتمال فهو عنصر في فئة.

ويُسهم الاشتمال في تحقيق السَّبك في ضوء تداول الكلمة العامة وفئاتها داخل النَّص علاوة على ذلك يخلقُ شبكةً دلاليةً تؤثر فيه، وتحقق الاتساق، ويظهر هذا في قول الإمام (عليه السلام) : ((أَمْ هذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وَشُغُفِ الأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِفاقاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِساناً لاَفِظاً، وَبَصَراً لاَحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً)). (١٩)، فالألفاظ : (نطفة، علقة، جنينًا، راضعًا، وليدًا، يافعًا، قلبًا، لسانًا، بصرًا) قد اصطفت في فئة خلق الإنسان، ونسجت شبكةً دلاليةً، وحققت تنوّعًا دلاليًا.

إنَّ تزاحم المفردات المتشابكة دلاليًا حقّقَ استمرارية النَّص، وزادَ من تعالقه، فذكر نوع الشيء، أو جزئه، أو فرعه هو إعادةٌ مباشرةٍ للأصل لذا عُدَّ من وسائل السَّبكِ داخل النَّص، ويظهر تعاضد الألفاظ التي احتشدت في ظل الكلمة الغطاء (إبليس) في قوله (عليه السلام) : ((وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً، وَنَفَثَ فِي الاذَانِ نَجِيّاً، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاستَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ))(٢٠).

إنَّ علاقة الاشتمال التي طفت على سطح النَّص في قوله : (نفذَ ونفثَ وأضلّ وأردى ووَعَدَ ومَنّى وزيَّنَ وهَوَّنَ واستدرجَ واستغلَقَ و حَذَّرَ) حققت الملائمة بين الشكل والمعنى، وبين مُنجِز النَّصِ ومتلقيه، وهذا يؤكد أنَّ شبكة الاشتمال داخل النَّص تعود في مرجعيتها إلى الكلمات المفتاح التي حدَّدت بؤرة النَّص، فتدفقت هذه المفردات المتشابكة دلاليًا لتحقق الاستمرارية فيه، ويتعالق بعضُه ببعض.

ونلحظُ أنَّ شبكةَ الاشتمال قد تشابكت خيوطُها في سطح النَّص وتعددت الحقولُ فيها، وهذه الحقول شكَّلت علاقاتٍ بين الأصل والفرع أدَّى ذلك إلى تعالق النَّص وترابطه، ففي حديثه (عليه السلام) على الاستسلام يوم الفزع الأكبر يقول : ((قد ضَلَّتِ الحيلُ وانقطَعَ الأمَلُ، وهَوَت الأفئِدَةُ كاظِمَةً وخَشَعتِ الأصواتُ مُهَينِمَةً وألجَمَ العَرَقُ وعَظُمَ الشَّفَقُ وأُرعِدَتِ الأسماعُ لزَبرَةِ الداعي إلى فَصلِ الخطاب ومقابضَةِ الجزاء ونكال العقاب)) (٢١).

شكَّلَ تكرار اللفظ بجزئه أو بصنفه شبكةً من علاقات المعنى داخل النَّص التي تنتشرُ خيوطُها في ضوئه فتجعله نسيجًا واحدًا، وهذا ما أكَّدَه رولان بارت بقوله : ((لو أحببنا استحداث الألفاظ لأمكننا تعريف نظرية علم النَّص أنَّها علم نسيج العنكبوت)) (٢٢).

ونستنتج من هذا العرض أنَّ علاقة الاشتمال تطرح في بنية النَّص تنوعًا دلاليًا يُحققُ الاستمرارية، ويزيدُ من ترابط النَّص واتساقه، ويظل للدلالة حضورها، فهي التي تحقق الملائمة بين الشكل والمعنى، وبين مُنجِز النَّص ومتلقيه، وهذا يُثبِتُ أنَّ الخطاب فعلٌ لغوي يتجاذبه مُنجِزٌ ومتأثِّر مُحققًا بذلك التواصل بينهما.

٤ _ إعادة الصياغة :

((هو نوعُ من الترادف التركيبي الذي يقع في سياق الجمل، فتكرار العبارة بإعادةِ صياغتِها يُضفي على النَّص سِمَةً خاصة تزيد من تماسكه وترابطه)) (٢٣)، وتقوم إعادة الصياغة على استعادةِ مُعطًى باستعمالِ تعبيرٍ لغوي مختلفٌ عن التعبيرِ المستعمل.

وتقع في الأعم الأغلب في العبارات القصيرة حيث إنَّ وقوعه في العبارات الطويلة قد يُحبِطُ إعلاميةَ النَّص مالم يكن هناك محفِّز دلالي يجبر عليها. وهذا النوع من التكرار يعتمدُ على سَعَةِ المعجم اللغوي لمؤلف النَّص حيث يقوم صاحبُ النَّص بتقليب العبارة بواسطة المترادفات، أو التقديم والتأخير فهو وسيلةٌ من وسائلِ إعادة الصياغة، ويهدفُ الإمامُ (عليه السلام) من ذلك إلى تحقيق التشاكل المعنوي، وقد تبيَّن لنا انَّ الإمام (عليه السلام) قد استعمل هذه الوسائل في مدونته، وقد جاءت إعادةُ الصياغة في صورٍ متعددة منها :

١ _ التوضيح والتعريف :

يتجسَّد هذا في قوله عليه السلام : ((وَوَظَّفَ لكم مُدَدًا في قرارِ خبرة ودارِ عِبرَة أنتم مُختَبَرونَ فيها ومَحاسَبون عليها فإنَّ الدنيا رَنِقٌ مَشرَبُها رَدِغٌ مَشرَعُها يونَقُ منظَرُها ويُوبِقُ مَخبَرُها غرورٌ حائِلٌ وظِلٌ زائِلٌ وسِنادٌ مائِلٌ)) (٢٤) فقوله : (دار عِبرَة) وقوله : (الدنيا) عبارتان لهما معنًى واحد إلّا أنَّ الثانية شرحٌ للأولى.

٢ _ التأكيد بالمرادف :

ونلحظ هذا في قوله عليه السلام : ((ووظَّفَ لكم مُدَدًا)) وقوله : ((وقَدَّرَ لكم أعمارًا)) وقوله : ((في تركيبِ صوَرِها ومُدَدِ عُمُرِها)) فهذه العبارات بمعنًى واحد إلّا أنَّ إعادة الصياغة جاءت للتأكيد فأضافت للمعنى بعدًا آخر. وقد أكَّد قوله : ((آثَرَكُم بالنِّعَم السوابِغِ والرِّفَدِ الرَّوافِغِ)) بالمرادف في قوله : ((في مُجَلَّلاتِ نِعَمِه ومُوجِباتِ مِنَنِه)) وجاء التأكيد في قوله : ((فاتَّقوا اللهَ تَقِيَّةَ مَن سَمِعَ فخَشَعَ واقتَرَفَ فاعتَرَفَ وَوَجِلَ فَعَمِلَ وحاذَرَ فبادَرَ)) بالمرادف في قوله : ((فاتَّقوا اللهَ تَقِيَّةَ ذي لُبٍّ شَغَلَ التفكّرُ قَلبَهُ وأنصَبَ الخَوفُ بَدَنَهُ)) (٢٥).

٣ _ التخصيص بعد التعميم :

حين تكون الجملتان بمعنًى عام واحد إلّا إنَّ الثانية أشدَّ تخصيصًا وتحديدًا مما يُسهِمُ في تثبيت المعنى لدى المتلقي، ويظهر هذا في قوله عليه السلام : ((فَماتَ في فِتنَتِهِ غَرِيرًا وَعاشَ في هفوَتِهِ يَسِيرًا)) (٢٦) وقوله : ((ثُمَّ أُلقِيَ على الأعوادِ رَجِيعَ وَصَبٍ وَنِضوَ سَقَمٍ تَحمِلُهُ حَفَدَةُ الولدانِ وَحَشَدَةُ الإخوانِ إلى دارِ غُربَتِهِ ومُنقَطَعِ زَورَتِهِ حَتى إذا انصَرَفَ المُشَيِّعُ وَرَجَعَ المُتَفَجِّعُ أُقعِدَ في حُفرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهتَةِ السؤالِ وَعَثرَةِ الامتحانِ)) (٢٧) فالعبارة الثانية هي تخصيصٌ للأولى.

إنَّ إعادة الصياغة وسيلةٌ من وسائل الهروب من التكرار الكلي للابتعاد عن الملل، ويتخذ أشكالًا متعددةً من التقليب، ولكنَّهُ يظل معبّرًا عن مضمونٍ واحد، والعلاقة التي تجمع بين هذه الأشكال هي علاقة التكافؤ التي تظهر على سطح النَّص، وتُسهِمُ في تشييد المعنى وإقناع المتلقي.

ويتجلّى ذلك في صورٍ متعددة منها أنَّ الجملة الثانية جاءت تأكيدًا للأولى عن طريق التضاد، ونلحظ هذا في قوله عليه السلام : ((فهل ينتَظِرُ أهلُ بَضاضَةِ الشبابِ إلّا حوانيَ الهَرَمِ، وأهلُ غَضارَةِ الصِّحَةِ إلّا نَوازِلَ السَّقَمِ، وأهلُ مُدَّةِ البَقاءِ إلّا آوِنَةَ الفَناءِ)) (٢٨) ومنها ما يؤكِّد المفردةَ بجملةٍ تفسيريةٍ، وقد جاء في قوله :((وحَذَّرَكُم عَدوًّا)) ثُمَّ يأتي وصفُ هذا العدو : ((نَفَذَ في الصدورِ خَفِيًّا ونَفَثَ في الآذانِ تَجِيًّا، فأضَلَّ وأردى، ووَعَدَ فَمَنّى، وَزَيَّنَ سيّئاتِ الجرائِم، وهَوَّنَ موبِقاتِ العَظائم حتى إذا استَدرَجَ قَرينَتَهُ، واستَغلَقَ رَهينَتَهُ أنكَرَ ما زَيَّنَ، واستعظَمَ ما هَوَّنَ، وحَذَّرَ ما أمَّنَ)).

أو يأتي هذا التأكيد بالمرادف كما في قوله : ((وأجابَ فَأنابَ ورَجَعَ وتابَ)) وقوله : ((كَفى بالكِتابِ حَجِيجًا وَخَصِيمًا)).

إنَّ إعادة الصياغة حقَّقت أغراضًا متعددة منها : _ خلق جملٍ متوازية والغرض من هذا صوتي تطريزي فضلًا عن الاتساع في المعنى وجاء هذا في قوله عليه السلام : ((مَعَ قُربِ الزّيالِ وأُزوفِ الانتِقالِ)) (٢٩).

_ إقناع المتلقي وتعزيز المعنى وتثبيته في ذهنه ؛ لأنَّ تكرير أحد العنصرين قد يُسهِمُ في فَهمِ الآخر من نحو ماجاء في قوله : ((وأرجَفَ الذِّكرُ بِلِسانِهِ وقَدَّمَ الخوفَ لإبّانِهِ وتَنَكَّبَ المَخالِجَ عن وَضَحِ السبيلِ وسَلَكَ أقصَدَ المَسَالِكِ إلى النَّهجِ المَطلوبِ)) (٣٠).

وبدا لنا أنَّ الإمام (عليه السلام) قد استهدف في ضوء إعادة الصياغة التنوع الدلالي فضلًا عن التطريز الصوتي مما أحدث تناغمًا دلاليًّا وصوتيًّا شدَّ السطحَ وأضفى عليه الاتّساقَ.

((ويقرُّ النَّصيون أنَّ إعادة الصياغة وسيلةٌ تمنح منتج النَّص القدرةَ على خلق صورٍ لغويةٍ جديدةٍ؛ لأنَّ أحدَ العنصرين المكررين قد يُسهِمُ في فَهمِ الآخر)). (٣١)

لقد عمدَ الإمامُ (عليه السلام) إلى استثمار أكثر من وسيلة لإعادة الصياغة مزج بينها وبين الخطاب على وفق ما يقتضيه السياق، واستعمل لإعادة الصياغة مقطوعاتٍ ومركباتٍ قصيرةً أشدَّ إيقاعًا وإقناعًا إذ حقق بها تشاكلًا صوتيًّا ومعنويًّا، فكان هذا الضرب من التوليد نابعًا من داخل المُنجَز، فأثَّرَ في ديناميكيته، وأنتجَ منه صورةً جديدةً أدَّت إلى تعالقه وتناسقه في آنٍ واحد.

٥ _ الكلمات العامة :

جاءت الكلمات العامة في المُنجَز كقناطر تربط بين أجزاء النَّص، ومنها (المنيّة) وما تعالق معها من تراكيب، قال (عليه السلام) : ((لاَتُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً، وَلاَيَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً، يَحْتَذُون مِثَالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً إِلَى غَايَةِ الانْتِهَاءِ، وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ النُّشُورُ)) (٣٢) فقد وردت مقترنةً ب(غاية الانتهاء، صيُّور الفناء، تصرّم الأمور، تقضّي الدهور) وكلمة (الأبدان) التي وردت في قوله : ((لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلاَمَةِ الأَبْدَانِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الأَوَانِ فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلاَّ حَوَانِيَ الْهَرَمِ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إِلاَّ نَوَازِلَ السَّقَمِ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلاَّ آوِنَةَ الْفَنَاءِ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ، وَأُزُوفِ الانتِقَالِ، وَعَلَزِ الْقَلَقِ، وَأَلَمِ الْمَضَضِ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ)).(٣٣)، وما اقترن بها من (بضاضة الشباب، غضارة الصّحة، نوازل السقم، قرب الزيال، أُزوف الانتقال، عَلَز القلق، ألم المَضَض، غُصَص الجَرَض)، وكلمة (الإنسان) وما اصطف في هذا الحقل من ألفاظٍ تدعم الكلمة العامة وتصنع نسيجًا مترابطًا أسهم في شَدِّ النَّص وحقّق اتّساقًا ملحوظًا، قال (عليه السلام) : ((أَمْ هذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وَشُغُفِ الأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِفاقاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِساناً لاَفِظاً، وَبَصَراً لاَحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً))، فقد حَشَّدَ الإمام (عليه السلام) هذه الألفاظ (نطفة، عَلَقة، جنين، رضيع، وليد، يافع، قلب حافظ، لسان لافظ، بصر لاحظ) لتدعم الكلمة العامة ويتحقَّقّ هذا التماسك والالتحام بين أجزاء النَّص.

إنَّ هذه المفردات التي اتَّصفت بالعمومية لها القدرة على اختراق جميع الحقول، ويتحكَّم السياق في تحديد معناها بحسب ما يصاحبها بسبب اتّساع مداها، وقد ترِدُ أحيانًا في سياقات متنافرة وحقول متضادة لتثبت دورها في ريادة السياق الذي ترد فيه ((إنَّ للكلمات العامة داخل النَّص المُنجَز دورها الاتساقي فهي وسيلةٌ تربط بين المتواليات النَّصيّة فيه وتُسهم في كفاءة النَّص وتماسكه لأنَّها مفصلٌ مهم من مفاصل النَّص)) (٣٤).

أهم قطاف البحث :

بعد هذه الرحلة في رحاب نهج البلاغة (الخطبة الغرّاء) نذكر أبرز ما توصّلنا إليه من نتائج :

١ _ استوعبت الخطبةُ كافة أشكال الاتساق الدلالي التي تضافرت جميعها في تشييد البنية الدلالية للنَّص.

٢ _ أسهَمَ التضادُ في دعم قضية النَّص، فهو وسيلةٌ من وسائلِ الحجاج بالإقناع تقوم على الهدم والبناء في الوقت ذاته، واقترن بفضله الجمالُ والانسجام.

٣ _ ظهر دور شبه الترادف في إثراء النَّص، وإحداث التعالق بين وحداته.

٤ _ بَرَعَ الإمامُ (عليه السلام) في توظيف علاقة السبب بالنتيجة؛ ليُحقّق الترابط المفهومي، ويلتحم نسيج النَّص.

٥ _ نسجت علاقةُ الإجمال والتفصيل شبكةً دلاليةً عمّقت المعنى، وزادت من اتّساق النَّص.

٦ _ وظَّف الإمامُ (عليه السلام) الاشتمالَ ليُسهم في ترابط أجزاء النَّص، ويُحقِّق اتّساقه.

٧ _ اتَّخذت وسيلةُ إعادة الصياغة مساربَ متنوعة استعملها الإمامُ للتأكيد على المحتوى القضوي للنَّص، والتأثير في المتلقي وإقناعه. والحمد لله أولًا وآخرًا.

هوامش البحث :

١ _ ينظر : الاتساق النَّصي في التراث العربي :٧ _ ٩.

٢ _ _ ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصيّة : ١٤٥.

٣ _ ينظر: أثر التكرار في التماسك النَّصي : ٥٧.

٤ _ نهج البلاغة : ١ / ١٣٤.

٥ _ م. ن : ١ / ١٣٦.

٦ _ م. ن : ١ / ١٣٩.

٧ _ المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٨ _ ينظر: أثر التكرار في التماسك النَّصي : ٥٧.

٩ _نهج البلاغة : ١ / ١٤٢.

١٠ _ ينظر : أثر عناصر الاتساق في تماسك النَّص : ٩٥.

١١ _ نهج البلاغة : ١ / ١٤٦.

١٢ _ م. ن : ١ / ١٣٢.

١٣ _ _ ينظر: آليات الانسجام النَّصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة : ٩٥.

١٤ _ الكلمة الغطاء : هي الكلمة الرئيسة التي ينتظم تحتها تفريعات تتصل بها.

١٥ _ نهج البلاغة : ١ / ١٣٣، ١٣٤.

١٦ _ ينظر: آليات الانسجام النَّصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة : ٩٢.

١٧ _ نهج البلاغة : ١ / ١٤٣ _ ١٤٥.

١٨ _ م. ن : ١ / ١٣٣.

١٩ _ م. ن : ١ / ١٣٨، ١٣٩.

٢٠ _ ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصيّة : ١٤٢.

٢١ _ ينظر : الدلالة والنحو : ٢٤٤.

٢٢ _ ينظر : الكلمة في اللسانيات الحديثة : ٢٢٩.

٢٣ _ _ ينظر: أثر التكرار في التماسك النَّصي : ٤٩.
٢٤ _ نهج البلاغة : ١ / ١٣٤، ١٣٥.
٢٥ _ م. ن : ١ / ١٤٥.
٢٦ _ م. ن : ١ / ١٤٠، ١٤١.
٢٧ _ _ ينظر: أثر التكرار في التماسك النَّصي : ٥١.
٢٨ _ ينظر : التماسك في الانجليزية : ٢٧٩.
٢٩ _ نهج البلاغة : ١ / ١٣٤.
٣٠ _ م. ن : ١ / ١٤٤.
٣١ _ م. ن : ١ / ١٤٣.
٣٢ _ م. ن : ١ / ١٤٢، ١٤٣.
٣٣ _ م. ن : ١ / ١٣٥.
٣٤ _ لذّة النَّص : ٦٣.

ثبت المصادر والمراجع :

_ آليات الانسجام النَّصيّ في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء (رسالة ماجستير)، آمنة جاهمي، جامعة باجي مختار، كلية الآداب، ٢٠١١ _ ٢٠١٢.
_ الاتساق النَّصيّ في التراث العربي، نعيمة سعدية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، الجزائر (بحث) مجلة كلية الآداب، العدد الخامس، ٢٠٠٩ م.
_ أثر التكرار في التماسك النَّصيّ مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف، د. نوال بنت إبراهيم الحلوة (بحث) كلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد/ ٨، ٢٠١٢ م.
_ أثر عناصر الاتساق في تماسك النَّص دراسة نصِّيّة من خلال سورة يوسف (رسالة ماجستير) محمود سليمان الهواوشة، جامعة مؤتة، الدراسات العليا، ٢٠٠٨ م.
_ البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصيّة، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.
_ الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى.
_ الكلمة في اللسانيات الحديثة، د. عبد الحميد عبد الواحد، مطبعة السفير الفني، تونس، صفاقس، ٢٠٠٧م.
_ لذّة النَّص، رولان بارت، ترجمة : منذر عيّاشي.
_ النَّص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة : د. تمام حسان، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٨ م.
_ نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) شرح الشيخ : محمد عبده، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، دار مكتبة مكرم، سوريا.
_Coheion in English. Hallday & Hassan, Longman 1976.

References

Jahmi, A. (2011-2012). Mechanisms of Textual Harmony in Selected Sermons from the Mustadrak of Nahj Al-Balaghah by Al-Hadi Kashif Al-Ghita (Master's Thesis). University of Baji Mukhtar, Faculty of Arts.

Saadia, N. (2009). Textual Consistency in the Arab Heritage. Journal of the Faculty of Arts, 5th Issue, Mohamed Kheidar University, Algeria.

Al-Munif, K., & Al-Hilweh, N. I. (2012). The effect of repetition on textual coherence: Applied lexical approach in the light of articles. Umm Al-Qura University Journal of Language Sciences and Literature, Issue 8.

Al-Hawasheh, M. S. (2008). The effect of the elements of consistency on the coherence of the text: A textual study through Surat Yusuf (Master's thesis). Mu'tah University, Graduate Studies.

Abdel-Meguid, J. (1998). Al-Badi between Arabic rhetoric and textual linguistics. The Egyptian General Book Organization.

Hassanein, S. S. Significance and grammar. Library of Arts, 1st edition.

Abdel-Wahed, A.-H. (2007). The word in modern linguistics. Al-Safir Al-Fani Press.

Barthes, R. The pleasure of the text. Translated by M. Ayachi_.

De Bogrand, R. (1998). Text, discourse, and procedure. Translated by T. Hassan. The World of Books, 1st edition.

Al-Radi, A. (Year unavailable). Nahj al-Balaghah, explained by Sheikh: Muhammad Abdo. Al-Alamy Publications Foundation, Beirut, Makram Library House, Syria.

Coheion in English. Hallday & Hassan, Longman 1976.